

أهون ألف مرة !

أن تدخلوا الغيل بتنبـ ابره

وأن تصيدوا السمك المشوي ..

في المجرة

أهون ألف مرة !

أن تطفئوا الشمس ، وأن

تحبسوا الرياح

أن تشربوا البحر ، وأن ..

تنطقووا التمساح

أهون ألف مرة ..

من أن تبيتوا ، باضطهادكم ،

وميفض فكره

وتحرروننا ، عن طريقنا الذي اخترناه

قيد شعره !!

لكنه ينجح على الأقل في الدلالة على درجة الإذلال والاضطهاد الذي يحسه العرب أو يعانون منه في إسرائيل .

وأخيرا ، هناك توقع بهيج للموت ، وهاجس ديني صوفي بالصلب على أنه الأمل الوحيد لخلاص الشاعر وشعبه . لذا فإن السجون والقيود والتغذية التي تتكرر صورتها في هذا الأدب لا تبدو وكأنها عاجزة عن أخماد روح الشاعر فحسب ، بل في الآخر هي ذات تأثير في تصعيد إيمانه وتتجديده بانتصار قضيته . ولكي يبقى على قوته الروحية وبكرياته وتحدياته وأيمانه ، يلجأ الشاعر إلى عدد متزايد من الوسائل أو الرموز ، ومن جملتها الرموز المستقاة من مناظر الطبيعة والأحداث الماضية في التاريخ العربي الإسلامي ، بالإضافة إلى التلميحات لمجموعة من الابطال والاساطير ، والقضايا المنتصرة لدى أمم أخرى في التاريخ القديم والحديث ، وإلى صلب المسيح ، فوق كل شيء .

فالصخور والجبل ، وجذور الاشجار المختلفة من الزيتون والتين إلى النخيل ، كلها توحـي للشاعر بصور تؤكـد على صلته العميقـة الجذـور والتـي يتـعذر انـقطاعـها مع التـراب في وطـنه ، وعلـى انتـصار هـذا الوطن . وكـما أعلـن درـويـش بـنفسـه ، فـإن الشـجـرة بـنظر الشـاعـر تـنتـصب كـرمـز لـاستـمرـارـةـ الـحـيـاـةـ وـالـأـمـلـ وـالـصـمـودـ وـالـوـجـودـ الـاـصـلـيـ فيـ الـبـلـدـ . لـذـا نـراـهـ نـتـيـجـةـ لـذـلـكـ يـسـقطـ وـطـنـهـ عـلـىـ صـورـةـ شـجـرـةـ النـخـيلـ ، هـذـهـ الشـجـرـةـ الـتـيـ لـاـ تـخـفـيـ أـمـامـ العـاصـفـةـ وـلـاـ تـعـبـاـ بـضـرـبـاتـ فـائـسـ الـحـطـابـيـنـ ، وـتـقـبـعـ بـمـنـائـ عـنـ وـحـوشـ الصـحرـاءـ وـالـفـاغـةـ . اوـ نـجـدـهـ يـذـكـرـ أـمـهـ لـاـ تـيـأسـ إـذـاـ طـوـاهـ الـمـوـتـ ، لـاـنـ جـذـورـ شـجـرـةـ التـينـ المـمـتدـةـ فيـ تـلـابـيبـ الصـخـورـ سـوـفـ تـبـتـ أـغـصـانـاـ جـدـيـدةـ إـلـىـ الـاـبـدـ . فـيـ قـصـيـدةـ بـعنـوانـ «ـ مـطـرـ »ـ تـنـقـلـ بـسـفـيـنةـ نـوـحـ ، وـهـيـ رـمـزـ لـخـلـاصـ ، إـلـىـ رـمـزـ لـلـمـوـتـ ، لـاـنـهـ تـعـنـيـ الـاقـتـلـاعـ مـنـ الـجـذـورـ ، وـسـلـامـةـ الشـاعـرـ لـاـ يـمـكـنـ الـحـفـاظـ عـلـيـهـ إـلـاـ فـوـقـ الـتـرـابـ الـذـيـ يـمـدـ جـذـورـهـ بـالـغـذـاءـ(٤٢ـ)ـ .

الجـبـلـ وـالـبـحـرـ يـجـرـيـ اـسـتـخـدامـهـ بـمـثـابـةـ رـمـوزـ مـتـغـيـرـةـ . فـالـاـولـ يـرـمـزـ إـلـىـ التـصـمـيمـ عـلـىـ الـبقاءـ وـالـلـيـاهـ ، إـمـاـ الثـانـيـ فـهـوـ رـمـزـ لـلـمـوـتـ اوـ بـؤـسـ التـجـوالـ . وـفـيـ قـصـيـدةـ عـنـوانـهاـ «ـ فـيـ اـنـتـظـارـ الـعـائـدـيـنـ »ـ يـضـعـ درـويـشـ نـفـسـهـ مـكـانـ اـبـنـ عـولـيـسـ الـذـيـ يـنـتـظـرـ فـوـقـ الـجـبـلـ عـودـةـ التـائـيـنـ :

وـأـنـاـ اـبـنـ عـولـيـسـ الـذـيـ اـنـتـظـرـ البرـيدـ مـنـ الشـمـالـ

نـادـاهـ بـحـارـ ، وـلـكـنـ لـمـ يـسـافـرـ .

لـجـمـ الـراكـبـ ، وـأـنـتـيـ أـعـلـىـ الـجـبـالـ .